16 em Année No. 766

Lundi — 8 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٨ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة

— ٣ —

الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ :

كلمتنى ضحى اليوم بالتليفون تذكرنى بموعدها عصر الغد بجروبى ؛ وتعتذر من هذا التذكير بأنها تخشى أن تكون استجابتى لمواعيدها فى القاهرة كاجابتى عن رسائلها من العزبة . ولو لم يكن فى مكتبى وهى تتكلم بعض المترمتين لقلت لها إن الأمر بين الحالين جدُّ مختلف ؛ فإن إجابتى عن رسائلها قد أصبحت من فضول القول بعد أن صارحتنى بأنها تطلب الحب ولا تطلب المعرفة ، وتريد الغزل ولا تريد النصيحة ؛ ولكن استجابتى لموعدها أدب من آداب النفس المهذبة ، يزيد فى الحرص عليه شوق إلى رؤية وجه يتجلى فى اليقظة بعد أن تمثل لى طويلا فى الحلم ، ثم أملى أن ينجح فى كبحها اللسان بعد أن فشل فى كبحها القلم . ولقد استخفنى علم الله صوتها الموسيقى فى السماعة فهممت أن أطلب منها تقديم الموعد يوماً ولكننى لم أفعل ؛ لأنى أكبر نفسى أن تخضع فى أية حال لهواها ، ولأنى أوثر أن أقرأ ما بقى من رسائلها قبل أن ألقاها .

حلتُها على قطع الحديث بأجوبتى البطيئة المقتضبة ، لأن المجالسين إلىّ كانوا قد كفوا عن حديثهم وجعلوا يلهمون لحديثى ، وما أدرى أكان ذلك منهم اتباعاً لأدب السلوك أم استطلاعاً لحديث امرأة ! وضمت السماعة وعدت إلى زوّارى الأكرمين أناقلهم أحاديث الأدب وأراجيف السياسة ، حتى انفض المجلس وخلا المكتب فنشرت بين يدىّ ما عثرت عليه ليلة الأمس من بقايا رسائلها الحر ، وأخذت أصفحها ورقة ورقة فألقى المكرر أو السخيف ، وأبقى المفيد أو الطريف . ثم رجعت النظر فيما استبقيت فلم أجد غير رسالتين اثنتين تستحقان التلخيص والتسجيل ، وتستأهلان التعليل والتحليل ، فأثبتهما ملخصتين فى صفحة هذا اليوم من مذكراتى ، لتكونا تكملة لصورتها وتغذية لتصوراتى

قالت الآنسة فى رسالتها ما ترجمته : « مالك تبتعد عنى متراً كلما دنوت منك فتراً ؟ لقد أوصدتَ بابك دونى ثم تركتنى أطرقه وأطرقه حتى أصم أذنىّ الطرق وأنت لا تجيب ! هل تجد فى ردك على رسائلى إحراجاً لك أو إزراء بك أو تبعة عليك ؟ إن كنت لا تحبنى — كما أعتقد — فهلا تظاهرت لى بالحب إشفاقاً على هذا القلب الذى يحترق ولا يجد بَرده إلا فيك ، ويذوب ولا يرى مساكه إلا بك ! كان يقنعنى منك أن تحبنى بالكلام حتى لا تظل موجة حبى حائرة فى الفضاء لا تجد جهاز استقبال ولا أذن مستمع ! لقد تركتنى بسكوتك عنى أشبه بالصوّت فى المغارة لا يسمع غير الصدى ، أو المنقطع فى الفازة لا يجد غير السكون ! أريد أن أعرف هذا المجهول وأستدنى ذلك البعيد ! يخيل إلىّ أحياناً أنه يناديني فى زفيف الريح ،

تبلق فى انعطاف الغصن، أو يعانقنى فى لين الفراش ، فأرهف ، أو أعرض خدى ، أو أنصب صدرى ، فلا أحس وا لهفتاه الرهبة والعزلة والفراغ ! دعنى أبحث عنه فى كل مكان ، سوره فى كل إنسان ، ما دمت لا ترسله إلىّ بالبريد !

دخلت الاصطبل ذات صباح فرأيت الحلاّبة تحلب إحدى اميس ، فطاب لى أن أرى هذا المنظر ، وقام بى أن أجرب العمل ، فأخذت الوعاء من فوق ركبة الحلابة ، وجلست فضاء تحت بطن الجاموسة ، وقبضت بيمناى على حلمة من ت الضرع وجذبتها إلىّ فشخب اللبن حاراً فى يدى . ولذّ لى ب لا أدريه أن أمعن فى غمز الحلمة وعصر الضرع وحلب ، شخباً فى الإناء وشخباً فى الأرض ، وقد دب فى بدنى ة خفيفة ، وسرى فى دمى نشوة لطيفة ، وجرى فى نفسى إلى ل المشتهى نزعة قوية ! ولا أدرى ما الذى ربط فى ذهنى بين اللبن وشهوة الحب ، ولا بين رؤية الجاموسة وذكرى الحبيب . كن ذلك كان وإن جهلت كيف كان . ولا يزال الشوق إلى ه اللذة يعاودنى فأذهب إلى الاصطبل فى الصباح والمساء ، غدوت أبرع من يحلب فى العزبة من الرجال والنساء !

ما ذا تصنع الفتاة الوحدة يا (حبيبى) لتهدىء قلبها الثائر ، نى هواها الطموح ، وتملأ فراغها الموحش ؟ أخى لا يترك ار ولا يتكلم إلا فى الزرع والضرع ، وزوجه لا تفارق الدار تتكلم إلا فى الطهى والغسل ، وأنت لا تدع الصمت ولا كلام إن تكلمت إلا فى الفضيلة والفضل ! أما الكلام الذى ج بالنفس ويأتلف مع الشعور فلا أسمعه إلا فى هتاف حمامة ها ، أو حمحمة فرس لصاحبها ، أو غمغمة بقرة لولدها ، أو تحية البستانى لى وهو ذاهب إلى الحديقة أو عائد منها . وابن البستانى ريان الشباب ، وثيق التركيب ، على وجهه وسامة ، وفى عينيه حة ، وعلى شفتيه جاذبية . يجىء أباه فى أكثر الأيام ليساعده فى ل الحديقة ؛ فكنت كلما رأيته تمنيت أن أديم النظر إليه وأطيل يث معه ؛ ولكن الفروق الاجتماعية التى بينى وبينه كانت شر من طرفه وتعقل من لسانه فلا ينظر إلا خلسة ولا يتكلم جمجمة . دعوته ذات مرة ليقطف لى رمانة لم تصل إليها يدى بجناتى ؛ فلما قطفها وقدمها إلى وقف ينتظر أمراً آخر ؛ ت له بعد أن جست بعينى نواحى الدار وممشى الحديقة : تعال معى نقطف باقة من الزهر ، ونجنى سلة من الثمر . فمشى الفتى بجانبى على استحياء وحذر ، فأردت أن أزيل احتشامه فسألته فى لهجة تسيل أنوثة وعذوبة : أمتزوج أنت أم خاطب ؟ فقال والخجل يضرج محياه : خطبوا لى يا سيدتى ابنة الخولى ، وستزف إلىّ فى موسم القصب . فقلت له ضاحكة : إذن سيكون شهر العسل عظيما ! فنظر الصعيدى إلى مبهوتاً كأنه لم يدرك النكتة ولم يفهم الجملة ! فقلت له : وماذا تقول لفتاتك إذا خلوت بها ؟ فأجاب الفتى فى حرج ودهشة : وكيف أخلو بها قبل الزفاف يا سيدتى ؟ إنى أراها فى الحقل أو أقابلها فى الطريق أو ألمحها فى البيت ، فتغض عنى من طرفها ، وأشيح أنا بوجهى ، لكيلا تتلاقى النظرتان فنأثم مقالة السوء ونضمن دوام الخطبة . فقلت له وأنا أعبر بصوتى المغطوط عن الرثاء والشفقة : مساكين ! إن الخطبة عند المتمدنين تدريب وتجريب ومتعة . تدريب على الزوجية بالفعل ، وتجريب للشخصية بالخبرة ، ومتعة للنفس بالرقص والرياضة والرحلة . إذا كانت خطيبتك بخراء فكيف تعرفها بغير القبل ؟ وإذا كانت مُصنَّة فكيف تكشفها بغير العناق ؟ وإذا كانت مذياعة فكيف تمتحنها بغير الاثنان على (سر) ؟ سأمثل معك دور الخطيبة الحبيبة رحمةً بك وحناناً عليك ، وسأعلمك ماينبغى أن تعمل ، وألقنك مايجب أن تقول . وفى ظل شجرة غناء من شجر التفاح أخرجت منديلى الرقيق فمسحت به ملاغم الفتى ؛ ثم جذبت بيدىّ جانبى رأسه ، ودسست شفتىّ فى زاوية فمه ؛ ثم وثّقت القبلة وعمقتها وطوّلتها وعرّضتها ، وكان الشاب قد صدمته المفاجأة فتصلب أولا ثم استرخى ، وأردت أن أنزع فمى من فمه فاستعصى ؛ ورفعت بصرى إلى أعلى الشجرة فرأيت أفعى (حواء) بجانب التفاحة تريد أن تسقطها إلىّ ، ففررت مذعورة إلى المنزل . وفى اليوم التالى عدت إلى التعليم وعاد إلى التعلم . وكان الفتى فى هذا اليوم على غير عادته نظيف الوجه جديد الثياب جرىء القلب ، فأطلنا الدرس وشغلنا النفس وشققنا الحديث . وتعاقبت الأيام على هذه الحال الراضية ، فسكت فى رأسى صوت كان لا يفتر عن الصراخ ، وسكن فى نفسى وسواس كان لا يني عن الحركة . وكدت أشغل بالفتى عنك ، وبالله والتحقق عن الحب المتخيَّل ، لولا أن أخى وقف من زوجته على الحقيقة ، فضرب بنى علقة دامية وحرمنى النزول إلى الحديقة...

(قصة بقية) احمد حسن الزيات